اكرم بن حيان قال لأويس القرني يا أويس صلنا بالزيارة واللقاء قال أويس قد وصلتك
بما هو أنفع لك منهما وهو الدعاء على ظهر الغيب لأن الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين
والرياء وقيل لسليمان الخواص قدم ابراهيم بن ادهم أفلا تأتيه قال لأن ألقى شيطانا
ماردا أحب إلي من لقائه فاستنكروا ذلك من قوله فقال إني إذا لقيت أخاف أن أتزين له
وإذا لقيت شيطانا امتنعت منه ولقد لقي شيخ الإمام بعض العارفين فتذاكرا مليا
ثم دعوا في آخر حديثهما فقال للعارف ما أظن جلست مجلسا أنا أرجى من مجلسي هذا
فقال له العارف لكن ما جلست مجلسا أنا أخوف منه من مجلسي هذا ألست تعمد إلى أحسن حديث
بك وعلومك فتحدثني بها فتظهرها بين يديك وأنا كذلك فوقع الرياء فيهما فبكا شيخ الإمام مليا
ثم غشي عليه وكان بعد ذلك يتمثل بهذه الأبيات يا ويلتي من موقف ما به أخوف من أن يعدل
الحاكم أبا دز الله بعصيانه وليس لي من دونه مرتحم يا رب عفوا منك عن مذنب أسرف إلا أنه
نادم فهذه حال أهل الزهد والرياضة في ملاقاتهم فكيف حال أهل الرغبة والبطالة بل حال
أهل الشر والجهالة واعلم أن الزمان قد أصبح في فساد عظيم وأصبح الناس في شر كثير
فإنهم يشغلونك عن عبادة الله حتى لا يكاد يحصل لك منها شيء ثم يفسدون عليك
ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك منها شيء فلزمك العزلة والتفرد عن الناس والاستعانة
بالله من شر هذا الزمان وأهله والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته فإن قيل فما حكم العزلة والتفرد
عن الناس فبين لنا حال طبقات الخلق فيها والحد الذي يجب منها فاعلم رحمك الله وإيانا
أن الناس في الباب رجلان رجل لا حاجة للخلق إليه في علم وبيان حكم فالأولى بهذا الرجل التفرد عن
الناس فلا يخالطهم إلا في جمعة أو جماعة أو عيد أو حج أو مجلس علم بالسنة أو حاجة في معيشة
لا بد له من ذلك وإلا يكون شخصهم ويلزم كنه لا يعرف ولا يعرف فأما إن أحب هذا الرجل
أن ينقطع عن الناس فلا يخالطهم في أمر من الأمور ألبتة من دين أو دنيا أو جماعة وجمعة
أو عيد لما يرى في ذلك من مصلحة وفراغة فإنه لا يسعه ذلك إلا بأحد أمرين إما أن يصير

الموضع

١٧

الى موضع للدليل ثم هناك هذه الفروض كرؤوس الجبال وبطون الأودية ونحوها ولعل هذا أحد الوجوه التي
دعت العباد إلى تلك المواضع البعيدة عن الناس وأما إلا يتيقن بالحقيقة أن الضرر الذي
يلحقه في مخالطة الناس بسبب هذه الفروض أعظم من تركها فحينئذ يكون له عذر في ذلك ولقد
رأيت أنا بمكة حرسها الله بعض المشايخ المتفردين من أهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام
في الجماعات مع قربه منه وسلامة حاله فمكثت في ذلك يوما في حال تردد إليه فذكر ما عنده
ما أشرنا إليه وهو إنما نجد من الثواب لا يفي بما يلحقه من الآثام والتبعات في الخروج إلى المسجد
الحرام ولقاء الناس قلت أنا وجملة الأمر فلا عيب على المعذور والله أعلم بالعذر وهو عليم
بذات الصدور ولكن الطريق العدل فيه هو الأول بأن يشارك الناس في الجمعة والجماعات
وضروب الخيرات ويباينهم فيما سوى ذلك فإن من أحب الطريق الثاني بأن ينقطع
عن الناس برمة فسبيله إلى الخروج إلى موضع لا يتوجه عليه هذه الفروض فيها لأن الطريقة الثانية هو
أن يكون مع الناس في مصر واحد لا يحضر جماعة ولا جمعة لعذر يراه في ذلك من وزر أو تبعة
عليه فإنه يحتاج إلى نظر دقيق وعوارض عظيمة حتى يسقط عنه ذلك وفيه خطر من الغلط
فالأول لأنه أسلم وأحفظ له والله ولي الهداية بفضله وأما الرجل الثاني فرجل يكون
قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس إليه في أمر دينهم لبيان حق أو رد على مبتدع أو دعوة إلى خير
بفعل أو قول أو نحو ذلك فلا يسع لهذا الرجل الاعتزال عن الناس بل ينصب نفسه بينهم ناصحا
لخلق الله ذابا عن دين الله مبينا لأحكام الله فلقد روينا عن رسول الله صلعم أنه قال إذا
ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله هذا إذا كان بينهم وإذا خرج من بينهم فلا يجوز له
أيضا ذلك ولقد حكي عن الأستاذ أبي بكر بن فورك أنه قصد أن ينفرد بعبادة الله تعالى
عن الخلق فبينا هو في بعض الجبال إذ سمع صوتا ينادي يا أبا بكر إذا صرت من حجج الله على خلقه تركت
عباد الله فرجع وكان هذا سبب صحبته وذكر لي مأمون بن أحمد أن الأستاذ أبا إسحاق
قال لعباد جبل لبنان يا أكلة الحشيش تركتم أمة محمد صلعم في أيدي المبتدعة واشتغلتم هاهنا